وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
مركز الدراسات الاستراتيجية

حرية التعبير والإساءة إلى الأديان

وقائع الحلقة النقاشية التي أقامها
مركز الدراسات الاستراتيجية - جامعة كربلاء بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٦
بمناسبة أسبوع الرد على الإساءة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

الفهرس

الموقف القانوني من حرية التعبير والإساءة إلى الأديان..... ٣ - ٧

أحداث شارلي ايبدو وتداعياتها على علاقات الغرب بالعالم الإسلامي..... ٨ - ١٩

الإساءة إلى الأديان وتأثيرها على حوار الأديان..... ٢٠ - ٢٢

الموقف القانوني من حرية التعبير والإساءة إلى الأديان

المدرس الدكتور علاء إبراهيم الحسيني
معاون عميد كلية القانون / جامعة كربلاء

الحريــة تعنــي التمتع بالملكات الذاتية بعيداً عن القيود الخارجية، بل هــي السلطة على الذات. وان الإنسان الحر هو سيد نفسه والمختار لأقواله وأفعاله، أي انها حرية الفرد في التعبير الحر عما يعتنقه من أفكار وما يؤمــن به من آراء في مختلف الميادين: سياسية واقتصاديــة واجتماعية، دون المساس بالنظام العام وحقوق الآخرين. والتعبير عن الرأي يأخذ العديد من الأشكال بعضها فردي والآخر جماعي، كما في الكلام والرسم والكاريكاتير والمظاهــرات والاعتصامات وغيرها من الوسائل، ولاسيمــا ذات الطابع الإعلامي والصحفي مقــروء أو مسمــوع أو مرئــي، بيد انها كحرية لابــد أن تُنَظم من قبــل السلطة المختصة حتــى لا تتحول إلى فوضــى، شريطة أن لا يؤدي ذلــك إلى مصادرة أصل الحرية، فلا بد من احــترام حقوق وحريات الاخرين وعدم المساس بسمعتهم أو شرفهم أو نزاهتهم دون مبرر مقبول قانوناً وعدم الإخلال بالنظام العام والآداب العامة أو بما يؤدي إلى إثارة النزاعات العنصرية أو الإثنية أو الدينية ...الخ.

من خصائص حرية التعبير

١- حق عام: أي انه مقرر للكافة وغير مقصور على الصحفيين فقط.

٢- حق نسبي: فهو ينتهي حيث تبدأ حقوق الآخرين وبما لا يتعارض مع النظام العام.

٣- حق إيجابي: سواء أخذ صورة الموافقة أم الرفض لأمر معين أم توجيه النقد لموقف أو دولة أو شخص.

أما أهم الحدود التي تؤطر حق التعبير عن الرأي:

١- احــترام الدستــور: لا جدال في أن كل فرد عليه التزام أساسي باحترام الدستور، فهو الأساس القانوني للحقــوق والحريات الوطنية ويضع القيــود والحدود الواجب الالتزام بها. أمــا القانون فينظِّم الحقوق والحريــات فــلا بد أن تكون حرية الرأي والتعبير تمارس بشــكل يتفق مع الدستور حتى لا يقع الشخص تحت طائلة المساءلة القانونية.

٢- حمايـة النظام العام والآداب: النظام العام، مجموعـة المصالح العليا الأساسية للجماعة، أو مجموعة الأسـس والدعامـات التي تقوم عليها الجماعـة وكيانها. أما الآداب، فهي مجموعـة الأسس الأخلاقية المعنويـة الضرورية لكيان المجتمع بما يكفل بقـاءه سليما بعيداً كل ما يعكر صفو العلاقات الاجتماعية، أو مجموعة المبادئ الأخلاقية التي تعارف عليها مجتمع ما خلال مدة زمنية معينة، وهي مكون معنوي من مكونات النظام العام .

٣- حماية حريات الآخرين: فمبدأ المساواة يحتم احترام حقوق وحريات الآخرين.

أمـا عـن حرية العقيـدة: فهي تعني مجموعة القيـم المعنوية التي يؤمـن بها الإنسان وانعقـدت عليها نفسه وارتبط بها روحياً. وتظهر بشكل ممارسات خاصة كشعائر وعبادات وطقوس دينية. ولكون الإيمان بالأديان ينصـرف إلى الأشياء غير المنظـورة والمعنوية فله ارتباط بحرية الرأي. وهنالـك علاقة بين حرية العقيدة وحرية التعبير.

ولكل شعب مقدساته ورموزه الدينية التي يحرص على صيانتها، فإن كانت حرية التعبير مكفولة فهي لا تعني الإساءة إلى الأديان.

الأساس الدولي لحرية الرأي والتعبير

أولاً: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عام ١٩٤٨ (المادة ١٩: لكل فرد حرية الرأي والتعبير. ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها...).

ثانيـاً: العهـد الدولي للحقـوق المدنية والسياسيـة، الصادر عـام ١٩٦٦ (المادة ١٩: ١- لـكل فرد الحق في اتخـاذ الآراء دون تدخـل. ٢- لـكل فرد الحق في حريـة التعبير، وهذا الحق يشمـل حرية البحث عن المعلومات أو الأفكار...).

ثالثـاً: الاتفاقية الاوربية لحقوق الإنسان، الموقعة في روما ١٩٥٠ (المادة ١٠)هي الأخرى أكدت حق كل فرد في التفكـير والتعبير عن رأيه ومعتقداتـه وإقامة الشعائر وممارستها ورعايتهـا بطريقة فردية وجماعية علنية أو خاصة، وحقه في التعبير عن رأيه بالنشر وتلقي المعلومات والأفكار ..

رابعاً: الميثاق الاوربي، الموقّع من قبل دول الاتحاد الأوربي في ٢٠٠٠/١٢/٧. أكدت فيه الدول الاوربية جميعاً

تمسكها بحرية الرأي والتعبير وحرية الحصول على المعلومات وإرسالها دون تدخل السلطات العامة.

خامساً: الميثاق العربي لحقوق الإنسان المعتمد من دول مجلس الجامعة العربية في ٢٠٠٤/٥/٢٣. ورد فيه نص المادة (٢٤) حق كل مواطن عربي في الرأي والتعبير.

الأساس الوطني لحرية الرأي والتعبير في العراق

ورد في دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ المادة (٣٨): تكفل الدولة بما لا يخل بالنظام العام والآداب العامة:

أولاً: حرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل.

ثانياً: حرية الصحافة والطباعة والإعلان والإعلام والنشر.

ثالثاً: حرية الاجتماع والتظاهر السلمي وتنظم بقانون.

الأساس القانوني لحرية الرأي والتعبير في القانون الفرنسي

١- صادقت فرنسا على الاتفاقية الاوربية لحقوق الإنسان عام ١٩٥٠ التي أوردت هذه الحرية في المادة (١٠)، بل فرنسا طرف في عقد الاتفاقية.

٢- صادقت فرنسا على العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦ وما تضمنه من التأكيد على حرية الرأي بالمادة (١٩). وأورد العهد قيوداً على حرية الرأي في المادة ذاتها الفقرة (٢): ((ضرورة احترام حقوق الآخرين وسمعتهم والنظام العام)).

٣- ما أكده الميثاق الأوربي لعام ٢٠٠٠ من ضرورة احترام حقوق الآخرين.

٤- ما ورد في الدستور الفرنسي لعام ١٩٥٨ في المادة (١): تكون فرنسا جمهورية غير قابلة للتجزئة وعلمانية وديمقراطية تكفل تساوي جميع المواطنين أمام القانون دون تمييز بينهم على أساس الأصل أو العرق أو الديانة وتحترم جميع معتقداتهم.

٥- ما ورد في دستور فرنسا ١٩٥٨ المادة (٥٥) تكون للمعاهدات أو الاتفاقيات المصدّق أو الموافق عليها حسب الأصول عند نشرها الغلبة على القوانين التي يصدرها البرلمان.

أي أن فرنسا تأخذ بسمو القانون الدولي على دستور الجمهورية ولا يجوز التذرع بأن القانون الداخلي الفرنسي يكفل حرية التعبير من دون ضوابط محددة أو قيود موضوعية.

قانون جيسو - فابيوس عام ١٩٩٠

أقرت الجمعية الوطنية الفرنسية قانون جيسو- فابيوس. والمروّج الحقيقي لهذا القانون الحاخام اليهودي رينيه صامويل سيرات. وسمي القانون باسم مقدمِه (جان كلود جيسو). وساعد على ذلك (لوران فابيوس) رئيس الجمعية الوطنية آنذاك، ورئيس الوزراء في عهد (فرانسوا ميتران). وينص القانون على معاقبة كل من يعبّر بكلمات أو أفعال تنم عن عنصرية أو مناهضة للسامية وتحض على الكراهية العرقية. وهو تعديل لقانون حرية الصحافة الفرنسي الصادر عام ١٨٨١، حيث تم تعديل المادة (٢٤)، وورد في التعديل كل من حرض بالوسائل الإعلامية على التمييز أو الكراهية أو العنف ضد شخص أو مجموعة أشخاص بسبب أصلهم أو انتمائهم لجماعة أو لأمة أو لعرق أو لدين فيعاقب بسنة حبس وبغرامة (٤٥٠٠٠) يورو أو بإحدى هاتين العقوبتين. والقانون بحقيقته موجه لمعاقبة من ينكر إبادة اليهود في الحرب العالمية الثانية.

موقف قانون العقوبات العراقي

ورد في الفصل الثالث من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المسؤولية عن جرائم النشر:

المادة (٨١: مع عدم الإخلال بالمسؤولية الجزائية بالنسبة إلى مؤلف الكتاب أو واضع الرسم إلى غير ذلك من طرق التعبير، يعاقَب رئيس تحرير الصحيفة بصفته فاعلاً للجرائم التي ارتكِبَت بواسطة صحيفته. وإذا لم يكن ثمة رئيس تحرير، يعاقَب المحرر المسؤول عن القسم الذي يحصل فيه النشر. ومع ذلك، يعفى من العقاب أي منهما إذا ما ثبت أثناء التحقيق أن النشر حصل من دون علمه وقدّم ما لديه من المعلومات أو الأوراق المساعدة على معرفة الناشر الحقيقي).

المادة (٨٢: إذا كانت الكتابة أو الرسم أو طرق التعبير الأخرى التي استُعملت في ارتكاب الجريمة قد وضِعت أو نشِرت خارج البلاد أو لم يمكن معرفة مرتكب الجريمة، عوقب المستورد والطابع بصفتهما فاعلين، فإن تعذر فالبائع والموزع والملصق، وذلك مالم يظهر من ظروف الدعوى أنه لم يكن في وسعهم معرفة مشتملات الكتابة أو الرسم أو طرق التعبير عن الرأي).

المادة (٨٣: لا يعفى من المسؤولية في جرائم النشر كون الكتابة أو الرسم وطرق التعبير الأخرى نُقلت أو تُرجمت

من نشرات صدرت في العراق أو الخارج أو انها لم تزد عن ترديد إشاعات أو روايات عن الآخرين).

المادة (٤٣٣: ١- القذف هو إسناد واقعة معينة إلى الآخرين بإحدى طرق العلانية من شأنها - لو صحت - أن توجب عقاب من أُسندت إليه أو احتقاره عند أهل وطنه. ويعاقب من قذف غيره بالحبس والغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين. وإذا وقع القذف بطريق النشر في الصحف أو المطبوعات أو بإحدى طرق الإعلام الأخرى عُدَّ ذلك ظرفاً مشدداً.

٢- لا يقبل من القاذف إقامة الدليل على ما أسنده إلا إذا كان القذف موجهاً إلى موظف أو مكلف بخدمة عامة أو إلى شخص ذي صفة نيابية عامة أو كان يتولى عملاً يتعلق بمصالح الجمهور وكان ما أسنده القاذف متصلاً بوظيفة المقذوف أو عمله، فإذا أقام الدليل على ما أسنده انتفت الجريمة).

المادة (٤٣٤: السب هو رمي الآخر بما يخدش شرفه أو اعتباره أو يجرح شعوره وإن لم يتضمن ذلك إسناد واقعة معينة. ويعاقَب من سب غيره بالحبس مدة لا تزيد على سنة وغرامة لا تزيد على مائة دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين. وإذا وقع السب بطريق النشر في الصحف أو المطبوعات أو بإحدى طرق الإعلام الأخرى عُدَّ ذلك ظرفاً مشدداً).

محكمة النشر العراقية

وأُنشئت بقرار من مجلس القضاء الأعلى العراقي في بيانه المرقم (٢٠١٠/٨١) القاضي بتشكيل محكمة مختصة بقضايا النشر والإعلام في رئاسة استئناف الرصافة لتتولى النظر في الشكاوى المتعلقة بالإعلام والنشر بشقيها المدني والجزائي استناداً لإحكام المادة (٣٢) من قانون تنظيم السلطة القضائية رقم (١٦٠) لسنة ١٩٧٩ لوزير العدل (رئيس مجلس القضاء الأعلى) بناءً على اقتراح رئيس محكمة الاستئناف تشكيل محكمة جنح للنظر في نوع واحد أو أكثر من الدعاوى. ومن ثم، فهذه المحكمة تختص بنظر جميع الدعاوى الناشئة عن جرائم النشر بأي وسيلة من وسائل العلانية في العراق واختصاصها شامل لجميع المحافظات ماعدا إقليم كردستان.

أحداث شارلي ايبدو وتداعياتها على علاقات الغرب بالعالم الإسلامي

الأستاذ المساعد الدكتور سامر مؤيد عبد اللطيف
باحث في مركز الدراسات القانونية والدستورية / جامعة كربلاء

جاء الهجوم على صحيفة شارلي ايبدو الفرنسية الساخرة الذي راح ضحيته (١٧) من المحررين فيها، ليضع علاقات الغرب مع العالم الإسلامي على المحك من جديد، بعد تصاعد موجة من الغضب في الغرب ضد الإسلام والمسلمين. [١]

إن تناول حادث «شارلي ايبدو» بالنظر يظهر أنه ارتداد لهزات تاريخية عميقة، تعود إلى مرحلة الوجود الإسلامي – العربي في الأندلس الذي يعد أقلها دموية وأكثرها تفاعلا قبل أن تتفجر الحروب الصليبية التي افضت إلى خسائر للطرفين بالأرواح والممتلكات طوال أربعة قرون خلت، ومن ثم تمدد العثمانيون إلى أوروبا لمدة خمسة قرون على الأقل ساد فيها السيف والقتل.

من جانب آخر، يعكس هذا الحادث الطبيعة الخلافية المؤثثة للعلاقة بين أنموذجين حضاريين مختلفين (الإسلامي والغربي)، ويطرح ثمار التصورات القائمة على محاولات تعميم الخطاب الحداثي الغربي ونسقه الثقافي، وإعطائه طابع الكلية والشرعية في ممارسة الاستلاب، والنظرة المختلفة للآخر، في المتراكم السلبي والموروث اللامتسامح، التي تجري محاولات لاجتراره تحت عناوين مختلفة، من التعصّب والتطرّف والغلو، سواءً كانت من جانب الغرب أم من جانب العرب والمسلمين. [٢] وهي رحلة قد شرعت منذ انطلاقة عصر النهضة الأوربية، وشرعت الأبواب على صدامات متتالية لأسباب مختلفة وتحت عناوين اقتصادية وثقافية متعددة، ليس آخرها غزو أفغانستان والعراق، أو ما حدث للصحيفة «يولاندس بوسطن» ٢٠٠٥ في الدانمارك، أو فيلم « فتنة» المسيء للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في هولندا، أو الصحيفة الفرنسية الساخرة «شارلي ايبدو» والغاية والتي لا يمكن ترجمتها على انها حماية «الحق في التعبير» بقدر ما هو

---

(١) د. محمد نور الدين ."شارلي ايبدو" والعلاقة بين الغرب والإسلام . مقال منشور على موقع BBC العربي. السبت ١٧-٠١-٢٠١٥ على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/multimedia/

(٢) عبد الحسين شعبان. ما بعد «شارلي ايبدو».. الإسلاملوجيا والإسلامفوبيا. مقال منشور على الموقع الالكتروني لمركز الخليج للدراسات. الأربعاء. كانون الثاني ٢٨، ٢٠١٥. على الرابط :

http://www.alkhaleej.ae/studiesandopinions/page/d

استفزاز للآخر خدمة لتلك النظرة الإقصائية أو حتى لتحقيق أجندات محددة. [٣]

أي بعبارة أخرى: إن ما حدث لشارلي ايبدو يعد إفرازا أو محاولة لإعادة انتاج أطروحة الصراع الحضاري التي روج لها «هنتغتون» و «برنارد لويس» وغيرهما [٤] عبر ربط قيم التنوير، مثل الحرية بالديمقراطيات الغربية الليبرالية، ووضعها في مواجهة إسلام قروسطي وعنيف، في محاولة لبعث سردية شائعة إلى الواجهة مجدداً، تُصوِّر العرب والمسلمين بأنهم عاجزون عن احتضان هذه القيم.

وما تقدم، يطرح السؤال المحوري حول تداعيات هذا الحادث الإرهابي على مسار علاقات الغرب بالعالم الإسلامي؟. وفي معرض الاجابة عنه سيتم تقسيم الدراسة بين دائرتين، الأولى هي تداعيات ذلك الحادث على الجالية المسلمة في أوربا، والثانية هي العالم الإسلامي خارج أوربا.

المحور الأول: تداعيات الهجوم على الجاليات المسلمة في أوربا

استتبعت أحداث شارلي ايبدو في فرنسا موجة ارتدادية من الأحداث والتداعيات التي لم تقتصر على فرنسا بعينها دون سائر الدول الأوربية وغيرها. وبالمثل شملت هذه التداعيات أكثر من مستوى كان اقربها لدائرة الأحداث هو المستوى الاجتماعي والأمني والسياسي، وهذا ما سيتم تناوله تباعا ضمن هذا المحور.

أولا: التداعيات الإجتماعية

أسهم الهجوم بشكل مباشر وسريع في إحياء مشاعر العداء والكراهية والانتقام والثأر ضد المسلمين في الدائرة الأكثر قربا على الحدث، بعد ان نجحت قوى اليمين في شحن الشارع بها باستمرار [٥]، ولذلك لم يكن مستغرباً ارتفاع منسوب الموجات العنصرية الإقصائية المصحوبة بأعمال عنف ضد مصالح

---

(٣) السعيد رشدي. جدل الذات والآخر في حادث "شارلي ايبدو". مقال منشور على الموقع:

http://essaidrochdi.blogspot.com/

(٤) محمد صلاح الدين المستأوي. حول تداعيات "شارلي ايبدو" في الساحة الفرنسية على الإسلام والمسلمين. الثلاثاء ٣ شباط (فبراير) ٢٠١٥. الرابط:

http://goo.gl/a٤P٢ZM

(٥) أوردت في العديد من الكتابات الاعلامية والاكاديمية الغربية مضامين فكرية الغرض منها تخويف رأي العالم الغربي من المسلمين وتسويغ كل ممارسات الإقصاء والإفقار والتهميش لهم، أو ما يسمى أسلمة أوروبا. مع القول: إن الخطر هو من جميع المسلمين. وليس فقط من يسمونهم إرهابيين. حتى جعل بعض المحللين يعتقدون من باب المزحة أن ألمانيا في عام ٢٠٥٠ ستصبح جمهورية ألمانيا الإسلامية.

وافـراد الجالية الإسلامية في الكثير من العواصـم الغربية، حتى سجل مركز مكافحة الإسلاموفوبيا [٦] في فرنسـا (٥٤) اعتداء ضد المسلمين في فرنسا منذ هجمات شارلي ايبدو، مصحوبا بمهاجمة (٢١) مسجدا بأدوات حارقة، والرمي بالحجارة، ووضع رؤوس الخنازير على أبوابها، وبكتابات عنصرية حاقدة. [٧]

وما تقدم لا يسهم في تفاقم مشكلات الاندماج في المجتمعات الفرنسية و أمكنة أخرى في أوروبا، حيث يعاني المواطنـون المتحدّرون من أصول إسلامية من عدم مساواة كبـير فحسب [٨]، بل ويضع الجاليات الإسلامية في البلـدان الأوروبيـة أيضا في دائرة الشبهات ، وثمة خطر من أن تتحوّل الأقلية المسلمة في فرنسا إلى كبش محرقـة عندما يضفي على هؤلاء المتطرّفـين صفة إيجابية باعتبارهم مقاتلين مـن أجل الحرية يناهضون الاستعمـار ويقاومـون الامبرياليـة [٩] . وفي طرح مثل هكذا احتفاء ضمني – وان يكـن غير مقصود بالعمل الإرهابي – يدعم جهود التجنيد التي يقوم بها مجاهدو «الدولة الإسلامية» والقاعدة، في وقتٍ تشهد البلدان العربية تصاعداً في التدخّل الأجنبي، بدءاً من مالي وصولاً إلى العراق.

وهو الطرح الذي تبناه بعض الفرنسيين والأوروبيين حينما اعتقدوا أن بصراعهم في سوريا والعراق، يصدرون الشباب الجهادي الأوروبي أو الجزائري والمغربي، فيتحررون من ثقلهم، ليستوردوا مسيحيي هذين البلدين مـن أجل تأمين التوازن في فرنسـا والمجتمعات الأوروبية بالمسيحيين المشارقة والعرب المهاجرين إلى هناك. غير أن هذه السياسة فشلت فشلاً ذريعاً، اذ ان الاستراتيجية القائمة في العقل التكفيري قد فاقت ـ ببعض مضامينهـا ـ قدرة السلطة الفرنسية على الامتصاص، وتلك هي الخطورة التي اصابت النسيج الاجتماعي الغربي عامة والفرنسي خاصة.

ثانيا: التداعيات الأمنية

وجدت الحملات التحريضية من الإسلام، والفوبيا من العمليات الإرهابية على يد الذئاب المنفردة العائدين من قلب النزاعات في سوريا والعراق ولاسيما بعد أحداث شارلي ايبدو، فضلا عن تصاعد التطرف المحلي،

---

(٦) الإسلاموفوبيا Islamophobia هو لفظ يتكون من كلمتين : إسلام و فوبيا. الفوبيا هي خوف مرضي يسيطر على وجدان الإنسان الذي يعاني منه. لكن مصطلح "الإسلاموفوبيا" يعني صورة نمطية مسبقة عن الإسلام و المسلمين تخلق الكراهية و العداء للإسلام تروج عن طريق وسائل الإعلام بهدف تخويف الشعوب الغربية من زيادة عدد المسلمين في بلدانهم. وفي الوقت عينه تبرر الحروب العسكرية التي يشنها الغرب على بلادهم.

(٧) عبد الحسين شعبان . مصدر سابق.

(٨) أظهر استفتاء للرأي أجراه مركز بيّو للأبحاث أن نصف المسلمين في هذه العينة تقريباً يجني أقل من الحدّ الأدنى للأجر الشهري.

(٩) مها يحيى . بالعودة إلى شارلي ايبدو وما يعني الهجوم بالنسبة إلى أوربا. مقال منشور على موقع مركز كارنيغي للشرق الأوسط. بتاريخ ٠٦ شباط/فبراير ٢٠١٥.

تجسيدها الواسع على المستوى الأمني، حتى تصدر الهاجس الأمني والتصدي للإرهاب سلم أولويات السلطة السياسيـة والأمنية لمعظم الدول الأوربية، فصارت تسعى بصـورة حثيثة إلى إيجاد أساليب واستراتيجيات جديـدة لمكافحة الإرهاب. وقد بذل مسؤولو الأمـن الأوروبيون جهودا كبيرة لمواجهة التحدي المتصاعد على خلفية استيقاظ الخلايا النائمة في أوروبا، ولاسيما بعد ان شكل عنصر المفاجأة والمباغتة لتلك الاعتداءات عنصـرا مهمّا وُضعت علـى اثره أجهزة الاستخبـارات الفرنسية في قفص الاتهـام، وأظهر ذلك نقائصها علـى مستوى التدخـلات الاستباقية، وأثيرت موجة من الاستغراب من عدم تمكنها من رصد خطط منفذي الهجمات لتفادي حدوثها. [١٠]

وعلى الساحة البريطانية، باتت قضية الإرهاب تشكل ضغطا كبيرا داخل المعترك السياسي والأمني. والخوف من عودة تلك الذئاب المنفردة من ساحات القتال الشرق أوسطية، استحوذ على اهتمامات القيادات الأمنية [١١]. ومنـذ أحـداث العنف في باريس مؤخرا، سـاد القلق أنحاء المملكة المتحدة ودعـي السكان إلى اليقظة. وبعـد ثلاثـة أشهر على رفع مستوى الاستنفـار الأمني إلى خطر في بريطانيا، أصبحـت نادرة الأيام التي لا تعلـن فيهـا الشرطة عن اعتقـالات جديدة في أوساط المتطرفين، بل ذهبـت بريطانيا إلى ابعد من ذلك في الشهور الماضية حينما أعلنت: «انها تواجه أكبر خطر في تاريخها على أمنها القومي». [١٢]

وقـد انتقلـت العدوى العنصريـة التي تطال الجالية المسلمـة في فرنسا بعد الاعتـداء الإرهابي على جريدة «شارلي ايبدو» بباريس، إلى اسبانيا، إذ أصدرت السلطات الأمنية الاسبانية تعليمات تقضي بأخذ احتياطات ضد الجزائريين ومعاملتهم بطريقة خاصة.

وكان القاسـم المشـترك الاكـبر بـين كل دول أوربا، هو التشـدد في الرقابة على الحـدود، واتخاذ اجراءات أكـثر صرامة على صعيد الهجرة، على سبيل الاحتياط والوقاية من وصول المزيد من المهاجرين والمتسربين المحملين بأفكار التطرف والعنف من العالم الإسلامي ككل والشرق الأوسط خاصة. [١٣]

---

(١٠) عزيز سعيدي. اعتداءات شارلي ايبدو: القراءات والدروس. مجلة لغة الحضارة على الرابط:
http://Vdara-arabia.nٲta.com/١٨٧٠

(١١) قدرت سكوتلانديارد في نهاية ٢٠١٤ " عدد البريطانيين الذين توجهوا للقتال في صفوف مجموعات على غرار تنظيم داعش الإرهابي بأكثر من ٥٠٠". وتخشى ان يخطط هؤلاء لاعتداءات لدى عودتهم إلى بريطانيا.

(١٢) بريطانيا وداعش .. رمضاء الذئاب المنفردة المدفوعة الثمن. جريدة النهار. العدد ٧٤٠ . الثلاثاء - ١٠ شباط (فبراير) ٢٠١٥.

(١٣) الغرب يعيش هاجساً أمنياً هو الأخطر منذ ١١ سبتمبر . جريدة الانباء الكويتية.

ثالثا: التداعيات السياسية الداخلية

علـى مستوى الداخل الفرنسـي، كانت الحادثة مناسبة لإظهار وحدة الفرنسيـين وتضامنهم في تصديهم لمحاولات زعزعة استقرار بلدهم، عندما عبروا عن ذلك في مسيرتهم التي خرجوا فيها بالآلاف، وجمعوا حولهم مجموعة من قادة العالم وكبار المسؤولين من دول عدة، جاؤوا خصيصا لمساندة فرنسا ووقوفهم إلى جانبها في محنتها. [١٤]

على صعيد متصل، تصاعد مستوى الحشد الاعلامي ضمن سياق ظاهرة (الإسلام فوبيا)، وبات التصدي للإرهـاب الإسلامي سوقا رائجة للقوى والتيارات العنصرية واليمينية وحتى اليسارية المتطرفة، كما اتضح في الانتخابـات الأخـيرة، حين سجّلت مارين لوبن ـ زعيمة الجبهـة الوطنية ـ نتائج باهرة، وهي التي ترى أن التعدديـة الثقافيـة هي المسؤولة عن وقوع جريمة «شارلي»، وقـد دعت إلى سحب الجنسية الفرنسية عن الجهاديين، وحثت باريس على التنديد بمنفذي الاعتداءات على انهم «إسلاميون». [١٥]

وهـذا لسان حال قوى اليمين والعنصرية في كل المجتمعات الأوربية كما ظهر ذلك جليا بالمظاهرة المناهضة للإسلام في المانيا، والتي نظّمتها في ١٢ كانون الثاني (يناير) مجموعة تُعرَف باسم «أوروبيون وطنيون ضد أسلمة الغرب» (بيغيدا)، أكبر عدد من مؤيّدي هذه الحركة حتى الآن.

وهكـذا ستحمـل موجة الاستياء الشعبي والتطرف ضد الإسلاميين المزيد من قوى اليمين إلى صدارة العمل السياسي، وهو الأمر الذي سينعكس ويتبلور على شكل سياسات للتشديد على الجاليات الإسلامية والتضييق عليها وتوجيه اصابع الاتهام لها، والتشديد كذلك على قوانين الهجرة، والتوغل في سياسات مكافحة الإرهاب داخل المجتمعات الأوربية وخارجها أيضا عبر الانخراط الفاعل في أحداث الشرق الأوسط كوسيلة للتصدي المتقـدم من مخاطر تمـدد الإرهاب إلى تلك المجتمعات، ومـن ثم الانتقال تباعا من كفـة التأييد للمطالب العربية المعادية لإسرائيل إلى كفة التأييد لسياسات الاخيرة طالما ستقف معها ضد الإرهاب.

المحور الثاني: تداعيات الهجوم على العلاقة مع العالم الإسلامي

من المنطقي الاستنتاج ان حدثا بمنزلة وثقل الهجوم على تلك الصحيفة الفرنسية الساخرة لن يمر دون ان يلقـي بتبعاتـه وظلاله على العالم الإسلامي وهو المعني الأول بهوية من قـام بهذا الهجوم، ومن ثم لن تكون

---

(١٤) عزيز سعيدي. مصدر سابق.

(١٥) بريطانيا وداعش.. رمضاء الذئاب المنفردة المدفوعة الثمن . مصدر سابق.

علاقـات الغرب مع دول هذا العـالم بمعزل عن التأثر بهذا المتغير الخطير. ومن هذا المنطلق، وجب تسليط الضوء على الموقف الرسمي والشعبي الإسلامي من الأحداث وتتبع مسار تداعياتها على علاقات الغرب مع العالم الإسلامي.

أولا: الموقف الرسمي لدول العالم الإسلامي من الهجوم

لقـد اصطفت اغلب دول العالم في جانب فرنسا وتفاعلـت المؤسسات والمنظمات الدولية بكل أطيافها مع ما تعرضـت له من اعتداءات مست أمنهـا واستقرارها، وجاء موقف العالم الإسلامـي والمؤسسات الإسلامية الدينيـة في أكـثره امتدادا لهـذا الموقف مستنكـرا لحادثة الهجوم علـى الصحيفة الفرنسيـة، كتعبير منه عـن تضامنـه المطلق مع حريـة التعبير في مواجهة التطرف والإرهاب، إلا أنـه في الوقت نفسه دان استهتار الصحيفة بمشاعر المسلمين، وهجومها غير المبرر على نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) من منطلق رفض القتل والإرهاب مهما كانت الدواعي، أو الوسائل والطرق.

وفي هذا الإطار، أعربت دول عربية عدة عن إدانتها الشديدة للهجوم على مجلة شارلي ايبدو الفرنسية، فقالـت السعودية: إنه عمل جبان يرفضه الدين الإسلامي الحنيف كما ترفضه بقية الأديان والمعتقدات، وهـي «تتقدم بتعازيها لأسـر الضحايا ولحكومة وشعـب جمهورية فرنسا الصديقـة، وتتمنى للمصابين الشفاء العاجل».[١٦]

من جهته، أدان وزير الخارجية المصري سامح شكري «الهجوم الإرهابي»، مضيفاً أن بلاده «تقف إلى جانب فرنسا بمواجهة الإرهاب الذي يتطلب جهودا دولية مشتركة للقضاء عليه». ومن بيروت، أرسل رئيس مجلس الـوزراء اللبناني تمام سلام برقية إلى الرئيس الفرنسي فرانسوا أولاند، معزياً بالضحايا، أعرب فيها عن تعاطفه مع عائلاتهم وتضامن الشعب اللبناني معها.

كمـا أعربت قطر عن إدانتها «الشديدة» للهجـوم الذي شنه من يشتبه بهم انهم مسلحون إسلاميون، وأفاد بيـان لـوزارة الخارجية القطرية إن «مثل هذه الأعمال التي تستهدف المدنيين العزل تتنافى مع كافة المبادئ والقيم الأخلاقية والإنسانية».

---

(١٦) هشام يحيى. من المستفيد من الهجوم على صحيفة "شارلي ايبدو" الفرنسية؟. مقال منشور على موقع الانباء الالكتروني. بتاريخ ٩ يناير ٢٠١٥. على الرابط:

http://anbaaonline.com/?p

وفي الأردن، قـال وزير الدولة لشؤون الإعـلام والناطق الرسمي باسم الحكومة محمد المومني إن «الحكومة الأردنية تستنكر الهجوم الإرهابي»، مذكراً بـ «العلاقات التاريخية والمميزة بين البلدين».

من جانبها، دانت الحكومة التونسية بشدة الهجوم «الإرهابي الجبان» على مقر شارلي ايبدو، وجاء في بيان الحكومة «في هذا الظرف الأليم، تعرب رئاسة الحكومة التونسية عن إدانتها الشديدة لهذا العمل الإرهابي الجبـان وعن تضامنها مـع الشعب الفرنسي الصديق. كما تجدد دعوتهـا للمجموعة الدولية لمزيد التنسيق والتعاون لمواجهة ظاهرة الإرهاب التي تستهدف الأمن والاستقرار في العالم».

وفي بيـان له، دان رئيس الوزراء العراقي حيـدر العبادي الهجوم مؤكدا أن «هذا الهجوم الإرهابي مدان من قبـل العراق الذي عانى الأمرّين على يد الجماعـات الإرهابية». بينما أعربت وزارة الخارجية الاماراتية في بيان مساء الأربعاء أن «مثل هذه الأعمال الإجرامية التي تستهدف المدنيين الأبرياء تتنافى مع جميع المبادئ والقيم الأخلاقية والإنسانية».

وكانت الجامعة العربية والأزهر قد أدانا الهجوم الذي استهدف الصحيفة الفرنسية الساخرة. وقال الأزهر إنـه هجـوم «إجرامي»، مؤكداً أن «الإسلام يرفض أي أعمال عنف». بينما قالت الجامعة العربية إنها «تندد بشدة بهذا الهجوم الإرهابي».[١٧]

وتَمثّـل الموقف المغربـي في صدور بيان عن الديوان الملكي للتنديد بالفعـل الإرهابي مع تقديم التعازي بشكل رسمي من طرف وزير الخارجية إلى رئيس الجمهورية الفرنسي، الاعلان عن مشاركة السيد وزير الخارجية في مسيرة باريس مع الامتناع عن المشاركة في حال تم رفع شعارات أو رسوم مسيئة للنبي محمد (صلى الله عليـه وآله وسلم(، وهو الأمر الـذي حصل فعلا وسبب حرجا لحكومات الدول الإسلامية أمام شعوبها التي أشادت بموقف المغرب وأعابت عليها رضوخها وخنوعها. [١٨]

وأشـار الرئيـس التركي إلى أن ازدواجيـة المعايير للدول الغربيـة واضحة للجميع، قائلا: «نحـن المسلمون لم نكن إطلاقا في جانب الإرهاب أو ساهمنا بارتكاب المجازر. إن العنصرية وعبارات الكراهية والإسلاموفوبيا تقف وراء هذه المجازر. نرجو من الدول التي يتم فيها الاعتداء على مساجدنا أن تتخذ حكوماتها التدابير اللازمة». وأضاف «إن حرية التعبير يجب ألا تُعطي الحق لإهانة المقدسات». وأشار إلى أنه يتوجب على من يختبئ خلف حرية التعبير

---

(١٧) هشام يحيى. المصدر السابق.

(١٨) عبد العلي حامي الدين . جريمة شارلي ايبدو بين العقل والسياسة . نشر في صحيفة الرأي المغربية يوم ١٩ - ٠١ - ٢٠١٥.

أن يعلموا أن رسوماتهم البشعة حول نبي الإسلام تسيء إلى المسلمين وتغضبهم وتشعل فتيل التحريض. [١٩]

مـن جانبهـا، أكدت منظمة التعاون الإسلامي أنها تفكر جديا في مقاضاة المجلة الفرنسية «شارلي ايبدو»، على خلفية إعادة نشرها الرسوم المسيئة للنبي محمد في أول عدد أصدرته عقب الهجوم الذي شنه متطرفون على الصحيفة خلال الأيام الماضية. [٢٠]

ثانيا: الموقف الشعبي الإسلامي من الهجمات

تفجـرت الشحنـة العاطفية للشعوب الإسلاميـة على شكل موجات غضب وإدانة وحتـى أعمال عنف باتجاه إدانـة الرسـوم المسيئة للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلـم)، وموقف الحكومات المتخاذل والمداهن للعالم الغربي على حساب القضايا الإسلامية، الأمر الذي أوجد مناسبة للتقاطع والصدام بين تلك الشعوب وحكوماتها في أكثر من عاصمة كما حصل في النيجر وباكستان. اذ أحرق شبان سبعة كنائس على الأقل خلال تظاهـرة في نيامي، وكانت زيندر – ثاني مـدن النيجر – قد شهدت أعمال شغب قتل خلالها (٤) أشخاص وأصيـب (٤٥) بجروح خلال تظاهرات مناهضة للصحيفـة الفرنسية. وفي كراتشي جنوب باكستان، بدأت الصدامات عندما حاول المحتجون الاقتراب من القنصلية الفرنسي، وأصيب مصور باكستاني يعمل لوكالة الصحافة الفرنسية بجروح خطرة.

وفي بقـاع العالم الإسلامي الأخرى كانت وطأة الاحتجاجات اقـل حدة وأكثر تعبيرا عن اعتدال المسلمين ورفضهم الحضـاري لتلـك الاساءات، فشهدت اليمـن وموريتانيا ومـالي والسنغال والجزائر والقدس الشرقية ونواكشوط وعمـان ومناطق أخـرى في العالم الإسلامـي تظاهرات، بعد خمسة أيـام من «المسيرة الجمهوريـة» التي شهدتها العاصمة الفرنسية تنديدا بالإرهاب. [٢١]

وقـد ارتقـى المسلمون أكـثر في سلّم الرد الحضـاري على تلـك الاساءات، حينما بـادر الكثير من مغـردي التواصل الاجتماعـي إلى تحويـل هذه الوسيلـة الالكترونية والتكنولوجيـة إلى وسيلة لنصرة رسول الله (صلـى الله عليه وآله وسلم)، مطالبين بمقاطعة الدول التي تسمح بالإساءة للأنبياء. [٢٢]

---

(١٩) عزيز سعيدي، مصدر سابق.

(٢٠) عادل السراي، شارلي ايبدو".. بين حرية الرأي وحرية الإساءة، صحيفة الاتجاه، على الرابط:
http://goo.gl/٢xfRdz

(٢١) تظاهرات ضد شارلي ايبدو وهولاند يدافع عن حرية التعبير، الموقع الالكتروني لقناة الحرة الفضائية، بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢، على الرابط:
http://www.alhurra.com/content/france-islam-charlie/

(٢٢) "شارلي ايبدو" تؤجج مشاعر الغضب والعداء، صحيفة الفجر الجزائرية، ٢٠١٥/١/١٥.

ثالثا: القراءة الإستراتيجية لتداعيات الحادثة على مسار علاقات الغرب مع العالم الإسلامي

كشف الحادث بوضوح عن أن القارة الأوروبية برغم بعدها الجغرافي عن بؤر التطرف والإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، إلا أنها ليست بمنأى عن ارتدادات الأفكار المتطرفة الموجودة في المنطقة ولا عن لهيب التطرف وعملياته الإرهابية. (٢٣)

وبكل الاحوال، لا يمكن إجراء فصل موضوعي بين المسببات التي أفضت إلى تلك الحادثة المشؤومة وبين التداعيات التي أفضت إليها سواء من خلال تفسيرها بكونها رد فعل لسياسات خاطئة أم حتى بكونها تجسيدا حيًّا لنظرية المؤامرة. وقبل ذلك، أكدت انها الثمرة غير الشرعية لسياسات القوي الكبرى في النظام العالمي، التي أسهمت في توفير بيئة حاضنة لنشر الكراهية في المنطقة الإسلامية.

وفي سياق ما تقدم، يمكن قراءة تداعيات هذا الحدث عبر ثلاثة عقد أو محاور استراتيجية، تتمثل أولها في محور التقاطع العالمي على أكثر من مستوى بين منظومتين حضاريتين، منظومة غربية تدعي الوصاية الحضارية على العالم وتمارس الإقصاء على هامش حمل مشعل الحضارة والتنوير للآخر الهمجي وتستخدم في سبيل ذلك كل أدواتها وقنواتها السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية تحت غطاء عنوان كبير هو العولمة والنظام العالمي الجديد، وعالم آخر (إسلامي / جنوبي) يرزح بثقل الاستغلال الحضاري والاستنزاف الاقتصادي والاستعباد السياسي من قوى العالم المتقدم، ويقف موقف المتفرج المغلوب على أمره دون ان يكون له دور في مسار الأحداث التي انتقل مسرحها الكبير إليه، فكان بحق مختبرا لإجراء التجارب الكونية الفاشلة في عمومها والمفضية إلى مزيد من الانهيارات على أرضه والتي تجسدت بصور متطرفة من الرفض والمقاومة لما يحصل، فاستثمرتها قوى الظلام في إعادة إنتاج الماضي بأدوات دموية في سبيل تغيير الواقع المزري المرير، وكانت أحداث شارلي ايبدو إحدى نواتج هذا التقاطع في الدوائر العالمية وذلك الاحتقان الحضاري، وهو الأمر الذي سيفضي بالمستقبل إلى دفع الشعوب العربية والإسلامية تجاه إعادة التفكير بمفهوم الإرهاب، وسيقود تلك الشعوب إلى احتمالية تأييد بعض الحركات الإسلامية المتطرفة في خطابها نحو الغرب بعد ان كانوا يزدروه ويعدونه تشويها للدين وروح التسامح فيه ... فعندما يجدون خطاب الإقصاء والضغينة والاتهام الغربي لهم ولهويتهم الإسلامية لن يكون التسامح والعفو رد جوابهم. (٢٤)

---

(٢٣) ياسر الزعاترة. تداعيات (شارلي ايبدو) على فرنسا وأوروبا. وكالة القدس للأنباء. الثلاثاء. ٢٧ يناير. ٢٠١٥.

(٢٤) خلود الخطاطبة. نتنياهو يؤجج لصراع إسلامي غربي. موقع سرايا:

http://www.jo٢٤.net/article-١٠٤١٩٣.html

وفي محور العقدة الاستراتيجية الثانية، كانت وستكون الحرب على الإرهاب اهم فصولها. فكلما تخمد نار تلك الحرب يعيد اليمين الصهيوني إشعالها باستخدام تلك المناورات الرخيصة (الرسوم والأفلام والمواقف المسيئة للإسلام). واذا كانت مسيرة الحرب على الإرهاب قد وجدت ابرز مناسبة لتتويجها عبر أحداث سبتمبر وما تبعها من احتلال لأفغانستان والعراق والتدخل المكثف والعنيف في الكثير من النقاط العالمية الساخنة واغلبها في العالم الإسلامي ولاسيما بعد اعصار الربيع العربي، فإن هذه الحادثة وما سيتبعها من فصول وأحداث مشابهة ستستغل إلى أبعد مدى من قبل الولايات المتحدة والعالم الغربي في رص صفوف المواجهة العالمية للإرهاب في العالم الإسلامي، وشد الأطراف إلى خندقها ولا عذر لمنسحب من هذه المواجهة.

إن هذه الأحداث قد منحت الدوائر الغربية الفرصة والمناسبة والدعم المعنوي والاستراتيجي لتصعيد حملتها ضد الإرهاب واتخاذ ذلك ذريعة للمزيد من التدخل والضغط على العواصم الإسلامية . ففي دائرة الحلفاء الإسلاميين سيعلو صوت المعركة ضد الإرهاب على أي صوت آخر حتى وإن ادى ذلك إلى قمع المعارضة الإسلامية في اغلبها، وستقدم فروض الطاعة السياسية والتسهيلات العسكرية والمساعدات المالية لحملة الحرب على الإرهاب، وستكون هذه الدول اقل نقدا للسياسة الغربية في عالمها وأكثر انخراطا واندفاعا في تنفيذ مخططاتها الاستراتيجية على صعيد المنطقة. وبالمقابل، سيكون خندق الاعداء أكثر ميلا للدفاع والحذر والاستجابة لمبادرات الدفاع المتقدم ضد الإرهاب لتحقيق غايتين هما: إظهار الدعم العلني للتيار العالمي الغالب، والتمرير الخفي الضمني لمخططاتها الرامية إلى نقض تلك السياسات وكشفها وإحراجها.

وستكون العقدة الاستراتيجية الثالثة والمتمثلة بالشرق الأوسط، هي المسرح الحقيقي لترجمة مخرجات العقدتين السابقتين وتحصيل ثمارهما التي كان أولها إما التريث المؤقت في سياسة التفتيت والفوضى الخلاقة لدول الشرق الأوسط أو الاسراع في حسم ملفاتها. والراجح تغليب منطق الحسم على التريث لاعتبارات تخدم منطق الطرق على الحديد الشرق أوسطي الساخن لضمان المطاوعة.

وعلى صعيد التفاصيل التجزيئية لمعادلة الشرق أوسطية لمرحلة ما بعد ايبدو بالنظر لوحداتها، كانت اسرائيل والصهاينة في العالم أكبر المستفيدين من مخرجاتها، [٢٥] إذ سارع رئيس وزرائها نتنياهو

---

(٢٥) أكد يعقوب كوهين الكاتب والمفكر اليهودي الشهير وهو (مغربي فرنسي)، أن مجلة "شارلي". اختطفت من قبل الكاتب الصحفي الصهيوني الفرنسي. فيليب فال ـ مدير النشر ورئيس التحرير السابق لصحيفة "شارلي ايبدو" ـ من عام ١٩٩٢ إلى مايو عام ٢٠٠٩. ليحولها إلى منبر مُوالٍ للصهيونية. حَطَ من كرامة العرب وخاصة الفلسطينيين. ودفعه منطقه هذا لتولي رفع راية الإسلاموفوبيا بشكل جنوني وحاقد على كل ما يمثل الإسلام أو المسلمين.

باستغلال الحادث لإظهار براءته من الإرهاب الذي يرتكبه يوميا ضد الشعب الفلسطيني، وربطه بالمسلمين مكـررا نفس سيناريو أسلافه في استغلال أحـداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي وقعت في واشنطن، وفرض نفسه على المسيرة ضد الإرهاب في باريس. [٢٦]

وعلـى صعيد آخـر، منح الهجوم الأخير على صحيفة «شارلي ايبدو» الفرنسيـة الفرصة للإسرائيليين لرفع الصـوت مـن جديد في أوروبا بعـد سلسلة من الانكسـارات المتتالية لسياستهم في أوروبـا، إذ دعا نتنياهو، الغرب إلى ضرورة شن حرب لا هوادة فيها على ما أسماه بـ«الإسلام المتطرف». كما دعت صحيفة «معاريف» الحكومـات الأوروبية إلى سن قوانين تقلص من قدرة المسلمين والعـرب على الهجرة إلى أوروبا، وتسهم في إحكام المراقبة على الجاليات الإسلامية هناك. كما حاولت إسرائيل استغلال الحادث لزيادة الضغط على حماس وعكس مكاسبها من الحرب الأخيرة على غزة. [٢٧]

وفي المقـام الثـاني، ستجبر تركيـا على حسم خياراتها المـترددة في الشرق الأوسـط والالتحاق المكثف بقافلـة المواجهة مع الإرهـاب الداعشي، وبخاصة في سوريا ومن ثم العراق، حتى بعد ان كانت محاربة «داعش» ليست من أولويات الرئيس «رجب طيـب أردوغان» ورئيس الوزراء «أحمد داود أوغلو»؛ لأنهما يصـرّان على وجوب محاربـة نظام بشار الأسد، الـذي يعدانه مصدر المشاكل. إلا أنـه يبدو أن تركيا ستغـير مسارهـا في مكافحة التنظيمـات الراديكالية كالقاعـدة و«داعش» بعد هجمـة باريس، ويجب ألا نستغـرب أو نُفاجـأ إذا اتخـذت الحكومة سياسة حـذرة ودقيقة أكثر إزاء «داعش» وسوريا عامة؛ وذلـك لتقوية موقفها الدولي في الحرب على الإرهاب في الأيام المقبلة [٢٨]. أما إيران، فستكون من بين المتضررين من تداعيات حادثة شارلي ايبدو لتزايد الضغوط الدولية عليها لحسم ملف الطاقة النووية مـن جهـة، والمشاركة الايجابية في جهود التصـدي لـ«داعش» وتهدئة البيـت العراقي الذي سيجني هو

---

(٢٦) كشفت ذلك القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي في تقرير لها، أن فرنسا طلبت من نتنياهو عدم الحضور إلى باريس للمشاركة في المسيرة المليونية؛ لأن الرئيس الفرنسي هولاند سعى لحصر مسيرة الجمهورية في باريس في طابعها التضامني الصرف مع بلاده وعدم تحويلها إلى منصة لطرح مواضيع مختلف عليها على شاكلة العلاقات بين اليهود والمسلمين والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني. ونقلت عن مصدر إسرائيلي رفيع، إن باريس وجهت الدعوة إلى الرئيس الفلسطيني محمود عباس نكاية برئيس الوزراء الإسرائيلي بعد أن علمت انه مصمم على الحضور إلى باريس. وقال ذات المصدر: إن الرئيس الفرنسي هولاند عبر عن امتعاضه من موقف نتنياهو بمغادرة التأبين الذي أقيم في الكنيس اليهودي المركزي في باريس قبيل بدء رئيس الوزراء الإسرائيلي بإلقاء كلمته.

(٢٧) محمد محمود السيد، كيف تأثّر الشرق الأوسط بحادثة شارلي ايبدو؟، تقرير قضايا أمنية عربية، المركز الدبلوماسي للدراسات الاستراتيجية، العدد رقم ٣، ٢٧-١- ٢٠١٥.

(٢٨) المشهد التركي: التداعيات العالمية لشارلي ايبدو، موقع ساسة بوست الالكتروني، الرابط:

http://goo.gl/Em٩Myi

الآخر ثمار هذه الحادثة باتجاهين متناقضين من جهة أخرى، يتمثل الأول بالإفادة من تصاعد الجهد والدعم الدولي لجهوده في مواجهة الإرهاب الداعشي، وفي المقابل سيتحول إلى مصيدة لقوى الإرهاب في العالم للإجهاز عليه في خطوة لاحقة.

وأما الملف السوري، فسيأخذ سبيله للانفراج على وقع هذا الحادث باتجاه اعتماد الخيار السياسي والدبلوماسي على حساب الخيارات الأخرى باعتماد صفقة الإبقاء على الأسد في الحكم في مقابل الإصلاح الديمقراطي على طريق التحول إلى الفدرالية واستقبال المعارضة كشركاء في الحكم مع توحيد الجهود للقضاء على تنظيمات «داعش» داخل سوريا ، أي بعبارة أخرى موجزة: استثمار الحدث لتصفية الملفات العالقة مع محور الممانعة والتعاون أو الضغط عليها في سبيل تنسيق الجهود لمكافحة الإرهاب أو اقتلاع احتمالات تمدده إلى الأراضي الغربية على أقل تقدير

وكخلاصة لما سبق، يتضح أن الغرب في تعامله مع الأحداث التي شهدتها فرنسا وجد الفرصة ملائمة للإشارة بأصابع الاتهام مجددا إلى المسلمين، سعيا منه إلى إضعاف موقفهم وربط الإرهاب بالإسلام والمسلمين وتخويف العالم كله من هويتهم الحضارية، حتى يتمكن من مواصلة التدخل في شؤون دول تشتت بمواجهة منظمات وتشكيلات إرهابية هو من أسهم - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - في خلقها و تقوية وجودها بسياساته، في مقابل حالة من الاستلاب السياسي الذي يعيشه المشرق الإسلامي بكياناته الهشة وقدرة هذه الأخير على الانجذاب الهائل إلى محاور القوة الدولية وتوجهاتها حتى وإن كان ذلك على حساب خيارات شعوبها.

وحتى يتجاوز المسلمون محنة الضغوط والهجمات الإعلامية والسياسية التي تُمارس عليهم، فهم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بتحسين صورتهم لدى الغرب وإظهار النموذج الإسلامي المتسامح والمعتدل. وعلى الدول الإسلامية أن تتدخل على أعلى مستوى لاحتواء الضغط الذي يُمارس عليها عبر استغلال كل القنوات الدبلوماسية المتاحة واحتواء الاحتقان الشعبي الذي تعرفه جلّ المجتمعات الإسلامية بعد كل إساءة للإسلام ولرموزه الدينية. أما المجتمع المدني، فعليه أن يمارس دوره في التأطير الديني الصحيح بالموازاة مع العمل الذي تقوم به الدولة لاستئصال الفكر الإرهابي الذي يُغلّب العنف على الحوار والتعايش السلمي.

الإساءة إلى الأديان وتأثيرها على حوار الأديان

المدرس المساعد حيدر رضا محمد
باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية / جامعة كربلاء

تتعرض الأديان وخصوصا الأديان الإبراهيمية الثلاثة الرئيسة (اليهودية والمسيحية والإسلام) إلى انتقادات وإساءة بين فترة وأخرى من قبل بعض وسائل الإعلام الساخرة. إذ تنشر صحيفة شارلي ايبدو الفرنسية الأسبوعية الساخرة إساءةً إلى الأديان والشخصيات السياسية منذ تاسيسها في سبعينات القرن الماضي، رافعين لواء حرية التعبير. وتعد هذه الصحيفة ذات توجه يساري أُسست لتخلف صحيفة هارا كيري الأسبوعية التي تم حضرها بسبب محتواها الذي عدته السلطات الفرنسية عدائيا للغاية آنذاك. والرسوم الساخرة لها تقليد قديم ربما قبل الثورة الفرنسية لذلك يدافع عنها وعن استمرارها وحريتها، خصوصاً بعد أن تعرضت المجلة إلى هجوم إرهابي على إثر نشرها للرسوم المسيئة للإسلام، مما دفع المجلة بنشر صور أخرى أكثر استفزازاً. إن هذه الأحداث تثير بعض الأسئلة عن مستقبل الحوار الإسلامي – المسيحي والعلاقات بينهما.

فهل ستؤثر الإساءة على حوار الأديان؟ وخصوصاً العلاقات المسيحية - الإسلامية؟

مفهوم حوار الأديان

الحوار بين الأديان يعني التعاون و التواصل الإيجابي بين الناس من مختلف الأديان و المعتقدات بهدف إيجاد أرضية مشتركة بين كل هذه الأديان و التركيز على أوجه التشابه بدلا من نقاط الاختلاف. وأهم المبادئ لإنجاح الحوار هو فهم الآخر كما يريد أن يفهم، وعدم فرض المعتقد عليه.

العلاقات الإسلامية المسيحية

تعد الديانة المسيحية من أكثر الأديان مودة ورحمة تجاه المسلمين حسب ما جاء في القرآن الكريم: ((وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ

الصّالِحِينَ)) سورة المائدة (٨٢ – ٨٤). لذلك اتسمت العلاقة بين أتباع الديانتين بالجيدة أحياناً، إلا أنها في أحيان أخرى كانت سيئة، وبخاصة في فتراتٍ من العهد الأموي والعباسي والفاطمي، وكذلك خلال أيام الدولة العثمانية والحروب الصليبية، إذ كان الصراع يغلبه الطابع السياسي والتوسعي. ويشير أغلب الكتاب اليهود إلى أن وضع اليهود في ظل النظام الإسلامي – خصوصا في عهد الإمام علي (عليه السلام) – أفضل حالاً من العيش في ظل الدولة البيزنطية. وكذلك يشير الكتاب المسيحيون إلى الشيء ذاته. إلا أن في الفترة الأخيرة، ظهرت الحركات التكفيرية لتشكل خطراً على المسلمين وأتباع الأديان الأخرى. ولهذه الحركات تأثير كبير على صورة الإسلام والمجتمعات الإسلامية، إذ مارست هذه الجماعات مثل: (القاعدة، وبوكو حرام، وتنظيم "داعش"، وجبهة النصرة، والخ...) جرائم ضد الإنسانية، وقتلت الكثير بصورة بشعة جدا تحت اسم الإسلام؛ لذلك يتطلب من رجال الدين المسلمين والمؤسسات الدينية الإسلامية رسم استراتيجية لمحاربة هذا الفكر المتطرف والمنحرف، والرد عليهم بأسلوب فكري وعقائدي من خلال النصوص الدينية. فاليوم يواجه العالم حربا آيديولوجية تكفيرية، وتعاني المجتمعات الإسلامية من هذه الجماعات أكثر من أتباع الأديان الأخرى، إذ يكفر المتطرفون المذاهب الإسلامية، بل يصل الأمر إلى تحليل قتل وسبي نساء الآخر (من المسلمين)، مثل أتباع المذهب الشيعي والطرق الصوفية.

وقد عولجت – ولأول مرة – قضايا الإسلام من حيث الحوار معه في ستينات القرن الماضي، على مستوى عقائدي وفي ضوء الدستور الرعوي في الكنيسة، وخلالها برز الخلاف حول قتل السيد المسيح. وفي عام ١٩٦٤، وهي نقطة تحول هامة في العلاقات المسيحية – الإسلامية، إذ زار البابا يوحنا بولس السادس الشرق الأوسط وألقى في عمّان والقدس تحية أخوية للمسلمين مع توجيه رسالة تتضمن احترام الديانات التوحيدية ومعتنقيها.

اليوم حوار الأديان وبناء علاقات إسلامية – مسيحية يجب أن لايقتصر على رجال الدين، بل لا بد من بناء علاقات اجتماعية مبنية على الاحترام المتبادل. يجب عدم تسييس الدين واستغلاله من قبل السياسيين من أجل منافع ومكاسب سياسية. وكذلك على الجميع قبول الاختلاف في العقائد وقبول العيش مع الآخر وعدم محاولة إجبار الآخر على تغييرها أو إقناعه بأن هذه العقائد خاطئة.

بعد عام ٢٠٠٣، عانت الأقليات الدينية والمسيحية منها على وجه التحديد من عمليات قتل وتهجير ممنهج، والتي ربما تؤثر على العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي. إذ تبنت جماعات إسلامية مثل: (بوكو

حـرام، وجبهة النصرة، والقاعـدة، وتنظيم "داعش"، وغيرهـا من المنظمات الإرهابيـة) عمليات القتل باسـم الدين الإسلامي، وخصوصا بعد أحداث سوريا والموصل. ربما ستصبح الأقليات في الشرق الأوسط مثـل قارة اطلنطس. إن هجرة المسيحيين بصورة كبيرة يؤثر على العلاقات الإسلامية – المسيحية بصورة كبـيرة، إذ تعطـي انطباعا للعالم أن المسلمين لايمكن التعايش معهـم!، وهذا مايرفضه المسلمون؛ لأنه ضد مبادئهـم، حيـث تضامن عدد كبير مـن المسلمين وكذلك رجال الديـن المسلمين ومراجـع دينية إسلامية مـع أبنـاء الأديان الأخـرى خلال عمليات الإبـادة التي تعرضوا لهـا مؤخرا. كذلك دعـت المراجع الدينية وخصوصا المرجع الشيعي الأعلى السيد علي السيستاني إلى حماية الأقليات الدينية ودعم المهجرين قسرا مـن مناطقهم. إن هذه المواقف تدعم العلاقة بين الإسلام والأديان الأخرى ومنها المسيحية، إذ بينت هذه المواقـف رفض المسلمين لما تقوم به المنظمات الإرهابية تجـاه أتباع الديانات الأخرى. وقد زارت وفود عدة مـن أديان مختلفة في العراق مكتب المرجع السيد علـي السستاني في النجف عندما احتل تنظيم "داعش" مناطق عدة في العراق، ولاقت دعما من قبل السيد السيستاني. كذلك زار وفد السفير البابوي السيد علي السستـاني وأعلن خلالها رفض الفاتيـكان الإساءة إلى الإسلام من خلال الرسـوم الساخرة. إن كل هذا يـدل علـى وجود معتدلين يمكن أن يطوروا العلاقات الإسلاميـة – المسيحية، وإن الإرهاب لا يمكن أن يؤثر على العلاقات بين أتباع الديانتين.

إن أحـداث العنـف في الشرق الأوسط – والتي تتبناها جماعات دينية متشددة – تدفع بالعديد إلى الإلحاد، سـواء في الشـرق الأوسـط أم في الغـرب، مسلمين كانـوا أم من أتبـاع ديانات أخرى، وذلـك حسب تقارير صـادرة من مراكز أبحاث عالميـة؛ لذلك نشاهد الهجوم العنيف من قبل الصحافـة الساخرة تجاه الأديان وبالخصوص الدين الإسلامي.

ربما تؤثر أعمال العنف في الشرق الأوسط تجاه أتباع الأديان الأخرى على العلاقات الإسلامية – المسيحية، إلا أنها لن تؤثر بصورة كبيرة. وكذلك من المتوقع أن تشن الصحافة الساخرة هجوما كبيرا من خلال نشر الرسوم المسيئـة للإسلام، وبالوقت نفسه يستمر الإرهاب بضرب المصالح الغربية واستهداف الصحف، خصوصا أن الغرب غير جاد بمواجهة الإرهاب المتمثل بتنظيم "داعش" والمجاميع الإرهابية الأخرى.

رؤية ورسالة وأهداف مركز الدراسات الاستراتيجية

الرؤية

التميّز والريادة الإقليمية والدولية في البحث والتحليل الاستراتيجي.

الرسالة

الإسهام الفاعل في عملية صنع القرار في العراق عبر دراسات وبحوث عالية الجودة، وتعزيز قدرات التحليل الاستراتيجي وفق معايير تنافسية رفيعة المستوى.

الأهداف

- تطوير الوعي الاستراتيجي لدى العاملين في حلقات القيادة العليا في الدولة؛ لتعزيز قدراتهم في اتخاذ القرار.
- تعزيز قدرة التنبؤ بالأحداث وفق معيار أكاديمي متميز؛ لمواجهة التحديات الاستراتيجية على اختلاف أشكالها.
- إعداد كوادر علمية عالية المهارة في البحث والتحليل الاستراتيجي.
- بناء جسور التعاون وتبادل المعلومات مع مراكز اتخاذ القرار الحكومي ومراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية داخل العراق وخارجه.
- إيجاد بيئة أكاديمية عالية الجودة يلتقي فيها خبراء التحليل الاستراتيجي من داخل العراق وخارجه؛ لتطوير مناهج البحث الاستراتيجي وتبادل الخبرات في مختلف القضايا وبما يعزز مسار الأمن والسلم الدوليين.
- إعداد دراسات وبحوث متميزة تسهم في تعزيز مسيرة البحث العلمي الأكاديمي في جامعة كربلاء وبما يحقق لها مرتبة متقدمة في معيار الجودة العالمية.

لملاحظاتكم واستفساراتكم يرجى الاتصال بإدارة الإعلام

Tel: (00964) 7800168889

عنوان البريد الالكتروني

info@kerbalacss.uokerbala.edu.iq

موقع المركز على الانترنيت

kerbalacss.uokerbala.edu.iq

التقارير والتحليلات المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز